

مقدمة

إذا كان لكل عصر من العصور سماته وقضياه، فإن الكثير من قضايا العصر الحديث مرتبط بالمرأة، فالحديث لا يتوقف ولا يهدأ عن تحرر النساء وحقوقهن السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وعن إزالة كافة أشكال التمييز عنهن، وكثر الحديث عن المرأة في التاريخ وعند الفلاسفة والمفكرين، وهذا ما يحملنا على تقديم هذه الدراسة عن (الفلسفة النسوية في فكر الإمام محمد عبده).

لقد ظهرت فلسفة حديثة أطلق عليها الفلسفة النسوية أو الأنثوية، أخذت على عاتقها أن ترى الوجود كله بعيون الأنثى، حتى العلوم الطبيعية أخذت نصيبها من الفلسفة، كذلك القرآن الكريم وجدنا من تتبجح وتخضع لتلك الفلسفة النسوية كما فعلت (آمنة ودود) مثلاً في كتابها المعنون بـ «القرآن والمرأة.. إعادة قراءة النص القرآني من منظور نسائي».

فإذا نظرنا إلى الحضارات القديمة نجد أن ألوانا بشعة من الظلم والانتهاكات وقعت بحق النساء، دون أن يحركن ساكناً لرفع هذا الظلم والجبروت الواقع عليهن حتى ظهر الإسلام على يد نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم)، ليبدأ عهد جديد للنساء، وذلك يتضح في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّالِحِينَ وَالصَّالِحَاتِ

وَالصَّابِرِينَ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَنَفِظِينَ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴿١﴾

ونجد النساء وقد انتبهن عندما يصعد النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) إلى المنبر ويقول: (يا أيها الناس..)، فهن من الناس، أى إن جميع الخطاب القرآني والنبوي يخصهن عدا ما جاءت القرينة لتشير أنه خاص بالرجال فحسب، فيستشعر النساء ما لهن من قيمة، وبينما كان ذلك الرقى صبغة للحضارة الإسلامية، كانت أوضاع النساء فى باقى الحضارات كما هى فى دياجير الظلام، وظلت الأوضاع هكذا، حتى تذبذبت مكانة المرأة فى المجتمع الإسلامى نفسه وفقا لموجات من الصعود والهبوط الحضارى التى مر بها. ويمكن القول إن ظهور الإسلام كان بشارة سارة للنساء فى ذلك الزمان، وإن الدعوة العامة للقرآن مبنية على حرمة الظلم، والقوانين العملية الإسلامية الخاصة قد بنيت بحيث تحمى الشخصية الخاصة للمرأة فى الحياة الاجتماعية والأسرية، وأعلن الإسلام حياة جديدة للمرأة فى بعدها الاجتماعى، ومما يؤسف له أنه على الرغم من ظهور هذا الدين الذى فيه النجاة الدائمة الأبدية، فإن وقوع حدثين أساسيين على مر التاريخ غيرا مسيرة حياة المرأة، الحدث الأول: هو ظهور حالة التحجر واختلاط الأذواق الباطلة بالحقائق الدينية، والحدث الثانى: تجدد وظهور العلمانية التى اعتبرت نفسها المدافع عن حقوق المرأة.

إن تيار التحجر القديم عطل الهوية الاجتماعية فى حياة المرأة، والتيارات النسائية الغربية تجاهلت الدور الاستثنائى الخاص للمرأة على صعيد الحياة العائلية.

(١) سورة الأحزاب - ٥٣.

فمع بداية العصر الحديث - الغربي بالطبع - ومع قيام الثورة الصناعية والحاجة للمزيد من الأيدي العاملة، ومع حروب عالية استهلكت البشر كما استهلكت البيئة، كان التدشين لعصر جديد للنساء يدخلن فيه آلة العمل بقوانينها الجبارة، وكان لابد من قيام أفكار وفلسفات جديدة لخدمة هذا التوجه، فكانت حرية المرأة، وحرية الجسد، والبحث عن دور جديد للنساء... إلخ.

ومع دخول النصف الثاني من القرن العشرين، دخلت قضايا المرأة فى طور جديد هو طور الفلسفة النسوية المتطرفة، فلم يعد البحث عن حقوق المرأة المهذرة وعن صيغة أكثر عدالة فى علاقتها بالرجل، ولكن أصبح العالم كله يتم النظر إليه من منظور أنثوى ضيق، كبديل للمنظور الإنسانى الرحب، وأصبح الحديث: أنه آن الأوان أن تحل الأفكار النسوية محل الأفكار الذكورية والأبوية التقليدية النمطية، لأن الأنثى هى الأصل، وغير ذلك من ترهات النسوة اللاتى يخضن حربا أو بالأحرى يفتعلن حربا مع الرجال دون أى اعتبارات للقيم الخلقية الرفيعة، التى يرين أنها قيود وضعها الرجال من أجل تكبيل الإناث. ومن أهم المفكرين المصريين الذين أولوا قضية المرأة عناية فائقة والمنظرين لأسس الفلسفة النسوية بمفهوم ورؤية خاصة تستحق الدراسة والتحليل هو الإمام محمد عبده.

ويهدف البحث إلى الكشف عن الأسس الفلسفية للفكر النسوى الغربى، والتعرف على أبرز الحركات والموجات التى تمثل المذاهب النسوية، والتعرف على أبرز الشخصيات التى ساهمت فيه.

والإجابة عن بعض الأسئلة وهى : كيف ظهرت هذه الحركة النسوية؟ وما هى أهدافها وغاياتها؟ وما هى الاختلافات بين الجنسين الذكري والأنثوى على المستويات: الجسمى، الذهنى، الاجتماعى، الاقتصادى؟ وكيف ساهم تطور تاريخ الإنسانية فى بناء هذه الثقافة بينهما؟ وما هى مراحل الفلسفة النسوية وتطورها؟

وأخيرا كيف ينظر الدين الإسلامى إلى وضع المرأة الحالية؟ وما هى رؤية الإمام محمد عبده لأفكار الفلسفة النسوية من مكانة المرأة؟ والمساواة؟ والحرية؟ وحقوق المرأة؟ وأيضا موقفه من قضية الطلاق وتعدد الزوجات؟ وفى سبيل توضيح هذه الرؤية ارتأيت إقامة مقارنة بين الفكر النسوى والرؤية الغربية حول المرأة والفكر الدينى ورؤية الإمام محمد عبده حول المرأة، وقد استخدمت فى البحث المنهج التحليلى والمنهج المقارن والمنهج التاريخى والمنهج النقدى.

ويحتوى البحث على مقدمة وسبع فصول وخاتمة:

الفصل الأول: وعنوانه (مراحل الفلسفة النسوية وتطورها):

تضمنت الدراسة فيه مبحثين، الأول: مراحل الفلسفة النسوية وتتناول تاريخ ظهور مصطلح النسوية (Feminism)، وأهم المنظرين للفلسفة النسوية، ومراحل رؤية المرأة فى تاريخ الفلسفة من الفلسفة اليونانية ويمثلها أفلاطون وأرسطو، وعلى الجانب الآخر المفكرين فى الفكر الحديث الذين حظوا بمكانة مرموقة بين المدافعين عن حقوق المرأة مثل (جون ستيوارت مل)، وموجات وحركات الفلسفة النسوية والأسس والأهداف

والغايات التي تقوم عليها كل موجة، والمبحث الثاني: وعنوانه الفلسفة النسوية في فكر ما بعد الحداثة ويتضمن دراسة المرحلة الثالثة في الفلسفة النسوية المهيمنة على فكر هذا العصر، وأهم أهدافها ورؤيتها وهى ما تسمى بحركة التمركز حول الأنثى، وأبرز المفكرين والفلاسفة فى هذه الموجة أمثال ميشيل فوكو وجاك دريدا و دولوز و نيتشه الذى يمثل وجهة النظر المعادية للمرأة، ويعد نيتشه أهم المنظرين لهذه الموجة التى شكلت لحظة انعطاف وتحول فى رؤية المرأة، وينظر لنيتشه على اعتباره من أبرز أعداء المرأة.

الفصل الثانى: وعنوانه (مكانة المرأة فى فكر الإمام محمد عبده):

ويتضمن مكانة المرأة الخاصة فى الدين الإسلامى، وكيف شهد وضع المرأة نقلة كبرى فى العصر الإسلامى، وأول من دافعوا عن المرأة فى العصر الحديث العربى مثل رفاة الطهطاوى، وجمال الدين الأفغانى، وعبد الله النديم، وقاسم أمين، وأيضاً مثال للسيدات المدافعات عن المرأة عائشة تيمور والأميرة نازلى فاضل، ثم مدى أهمية قضية المرأة عند الإمام محمد عبده، ونماذج النساء المؤثرات فى حياة الإمام محمد عبده، والسبب فى الحالة التى تعيشها المرأة فى عصره وكيف فقدت مكانتها وسلبت حقوقها؟.

الفصل الثالث: وعنوانه (منهج الإمام محمد عبده الإصلاحى لقضايا المرأة ودوافعه):

وتضمن أسباب ودوافع إصلاح الإمام محمد عبده لقضايا المرأة من تغيرات اجتماعية وسياسية واقتصادية، ظهور منهجين للإصلاح لقضايا

المراة، منهج التقليديين والمنهج التغريبي وأهم المنظرين لكل منهج، وموقف الإمام محمد عبده ونقده لكل من المنهجين، ومنهجه الإصلاحى.

الفصل الرابع: وعنوانه (المساواة بين الرجل والمرأة فى فكر الإمام محمد عبده):

ويتضمن المحاور التالية: إن الأصل فى أحكام الإسلام هو المساواة بين الرجل والمرأة، المساواة فى القرآن الكريم، رأى الإمام محمد عبده فى المساواة بين الرجل والمرأة فى الحقوق والواجبات من خلال تفسيره للقرآن الكريم، فكرة القوامة فى القرآن الكريم، وتفسير الإمام محمد عبده لها، وتوضيحه لللبس والفهم الخاطئ لفكرة القوامة، المسئولية المشتركة بين الرجل والمرأة فى التفكك والتفسخ الأسرى، وعقد مقارنات بين المفكرين فى موضوع المساواة بين الرجل والمرأة مثل رفاة الطهطاوى، والشيخ محمد رشيد رضا، وقاسم أمين، وجمال الدين الأفغانى.

الفصل الخامس: وعنوانه (حرية المرأة فى فكر الإمام محمد عبده):

تضمن كيف أن الحرية لم يخص بها الذكور فقط بل والإناث أيضا، وأهمية الحدود والضوابط للحرية عند الإمام، وينقسم الفصل إلى ثلاثة مباحث:

- ١ - حرية الرأى والحرية السياسية.
- ٢ - حرية المرأة فى اختيار الزوج، وأهمية حاجة المرء إلى الزواج، ومقارنة بين رأى الإمام محمد عبده ورأى قاسم أمين فى حرية المرأة.
- ٣ - نماذج من الريادات النسائية اللاتى حررهن الإسلام منذ عصر النبوة.

الفصل السادس: وعنوانه (حقوق المرأة في فكر الإمام محمد عبده):

وتضمن مباحث هي :

١ - قضية تقييد الطلاق وحقوق المرأة.

٢ - قضية تعدد الزوجات.

٣ - حق المرأة في التعليم والعمل.

٤ - الحقوق المالية للمرأة.

الفصل السابع: وعنوانه (مقارنة بين الفكر النسوي الغربي والفكر النسوي للإمام محمد عبده):

ويتضمن مقارنة بين حركة تحرير المرأة وإنصافها وبين النزعة الأنثوية المتطرفة (feminism) في الأهداف والغايات، ومقارنة بينهما وبين الفلسفة النسوية في فكر (ما بعد الحداثة) من جهة أخرى، وأيضا مقارنة بين الفلسفة النسوية بموجاتها وبين الفلسفة النسوية في فكر الإمام محمد عبده في الأسس والأهداف والغايات، ونقد للفلسفة النسوية الغربية.

الخاتمة (النتائج):

اشتملت على تلخيص لأهم نتائج البحث.

د. سلوى محمد نصره

أستاذ مساعد بقسم الدراسات الفلسفية

كلية البنات - جامعة عين شمس